خزانة الأدب ج: 1 ص: 187
ومما سار من أمثال الطغرائي في لامية العجم قوله حب السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل لو أن في شرف المأوى بلوغ مني لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل وعادة النصل أن يزهى بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
خزانة الأدب ج: 1 ص: 188
هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل وإن علاني من دوني فلا عجب لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل فاصبر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر ما يغني عن الحيل أعدي عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل يا واردا سؤر عيش كله كدر أنفقت صفوك في أيامك الأول فيم اقتحامك لج البحر تركبه وأنت تكفيك منه مصة الوشل ملك القناعة لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه إلى الأنصار والخول ترجو البقاء بدار لا بقاء لها فهل سمعت بظل غير منتقل
ويا أمينا على الأسرار مطلعا اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل
وممن سار في مجرى هذه القصيدة ووزنها أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي أولها
أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والإبل
وما صبابة مشتاق على أمل من اللقاء كمشتاق بلا أمل
والهجر أقتل لي مما أراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلل قد ذقت شدة أيامي ولذتها فما حصلت على صاب ولا عسل خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
أنظر إلى محاسن هذين الفحلين إلى الغاية التي تمثلا بها في الشمس وزحل وتأخر سوابق الأفهام عن معرفة السابق منهما إلى الغاية ومنها قوله
وقد وجدت مكان القول ذا سعة وإن وجدت لسانا قائلا فقل لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل